عبدالله الطيب

نوار القطن

مطبعة النيل
للطبع والنشر
١٩٦٨

عبد الله الطيب

نـــوار القطن

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذا جزء من قصة كنت كتبتها عام ١٩٤٧ وضمنتها مذكرات وأوصافا مختلفات . وقد عثرت على دفترها منذ حين ، بعضه قد سلم وبعضه قد رث . وعسى أن يكون في النسخة التي أقدمها الآن بين يدى القارىء الكريم مايرضى عنه ان شاءالله وبه التوفيق

المؤلف ــ عبد الله الطيب
١٩٦٨/١٢

(١)

نهض عثمان ود عبد السلام عند الصبح قبيل الاشراق متثاقلا . ونهضت زوجته أشد تثاقلا منه . وجافت عن ثديها طفلا سيىء الغذاء ـ قد جاوز العامين بأشهر وحان أوان فصاله ، ولكن لم يكن لديها من الدراهم ما تشترى به عسلا وغير ذلك مما تفطم به النساء اولادهن فى الاسابيع الاولى وتأوهت وتمطت وتثاءبت . ثم جذبت نطاقها الدسم الذى كانت ترفد به وسادة طفلها ، وعقدته عند عظم خاصرتها ، ثم لفت نفسها بثوبها الأزرق الذى قد شمله تثار من الرقع والخياطة بعد الخياطة واخذت صفيحة بنزين فارغة على خارجها "عبس" من الوسخ القديم ، وجرت نفسها جرا تريد القناة ذات الماء الأسن الذى عليه من يرق الناموس غطاء رقيق كالدهن فوق المرق البائت .

فاذا وصلت القناة بركت عند جانبها وأمالت طرف الصفيحة ثم جعلت تملأها ، حتى اذا امتلأت وضعتها على الوقاية التى فوق رأسها ، ثم ذهبت تكاد ساقاها تصطكان حتى تبلغ منزلها الذى انما هو كوخ ، فتجد طفلها قد أسهل على خرق المهد .

أما زوجها فقد ذهب ليحلب العنز . عنزا وحيدة كان قد شراها عاما أول بعد أن باع بقرته وعجلها ليسد بعض ما عليه من الديون وليدفع أجرة العمال الذين كانوا يعزقون حواشته بثمنها . وقد سمت زوجه هذه العنز « السعيدة » لكثرة مادرت عليها من اللبن أما الآن فلم يبق فيها الا أغبار اذ يبدو أنها قد لقحت منذ حين قريب !

وبينما كان عثمان يسرى ضرع عناقه السعيدة ، كانت زوجته تميط الأذى عن طفلها • ثم احتملت انعنقريب لى ظل الضحا • وجلست الى جانبه على بنبر صغير وجعلت ترتجل موقدا للنار • أعدت أولا ثلاثا صغارا • ثم وضعت شيئا من التمام وقصاصات الورق • واخذت

بعد بعد ذلك تتلفت يمنة ويسرة عسى أن ترى عودا أو جذلا من حطب تعين به نارها • فلما لم تجد شيئا نهضت كالكارهة ، وقصدت الى ناحية الكوخ ، ومدت يدها ، ثم اجتذبت قبضة من الثمام المكون لسقف بيتها ، فثار لذلك عبار كثيف تساقط بعضه فى عينها فجلعت تنفضه بطرف ثوبها الأزرق • وفى هذه اللحظة رجع عثمان من حلب العنز يحمل أناء فيه شيء مما حصل عليه •

ـ يامرة ، انت ماعندك فهم • دحين وقت بتوقدى فى سقف بيتك راجيانى اركب للخلا البعيد داك واجيب ليك حمار تبسا تانى فى شان تاكليه نار السجم والرماد دى • انت دايرانا نقيل فى الهجيره • والا نقع الشدر والعشر مثل الحلب !؟

ـ انت يادا ما تهرج ، اوقد لك نارك دى بيشحمى ولحمى ؟
ـ ماتمشى ليزريبة الحمير ، البعرهناك راقد •
ـ دايرنى اسوى لك الشاى بيزفر الحمير ؟ أكان بتشربه أهـا امرق براك وجيب لك آكان بعرة أكان بعرتين •
ـ سوى سواتك دى ونتوكل الله على رقاريق نصة نهار
ـ ماتمرق باكر والا بعد باكر مع ولاد عمران للخلا وتجيب لك حطب
ـ سمح • والله أكان جب ليك ألف حمار حطب وتبس تعرفى لك عرفة ماتخلى فيهن قشة واحدة •

ــ وقت تجي من الحواشة شوف لك كان عودين كانْ تلاته في شان العواسة .

ــ والله علا كان اقلع لك من قطن الحواشة

ــ وليشنو ما تقلع الناس كلهم بيقلعوا . وأكان ماسووا كدي والله علا كان يوقدوا خلقتن

ــ واكان شافني المفتش والابصص على البصاص .

ــ الله يستر ياود الناس .

ــ كانت مثل هذه المحادثه تدور كل صباح بين عثمان وزوجته عدالروا اذ كانت مشكله الوقود أمرا عسيراشاقا يواجهها مطلع كل شمس وزوالها وغروبها .

قد كانت هذه المنطقة من أرض النيل قبل أن تنشأ فيها زراعة القطن على هذا النطاق الجشع مليئة بالشجيرات وبالسنط والطلح والسدر . ولكن منذ تولتها الشركة وانتزعتها من أهلها فانها قد أزالت كل الشجر من أجل زراعة القطن فلم يبق من شيء يصلح للوقود سوى قصب القطن . وهذا تأمر الشركة باحراقه كل عام خشية أن تكون فيه حشرة مؤذية تفتك بالمحصول الجديد . لقد كانت

عدالروا تقاسي العناء من أمر الوقود ولكنها ــ على كل حال ــ كانت أسعد من رفيقاتها اللاتي يسكن حيث يمتد مشروع القطن الأميال لايرى المرء فيه غير القنوات بعد القنوات ، والأفدنة المحروثة تتخلل الأفدنة المزروعة ، وليس ثم من خلاء قريب ، كما ههنا ، يستطيع المزارعون أن يحتملوا منه الثمام أو يقتطعوا السلم . وليس من حلل نيلية على الضفة الشرقية يكثر فيها السنط والطلح والسيال ويمكن للمزارع أن

يركب حمارة اليها فيحتطب مايكفيه أسبوعا أو أسبوعين • أن عدّ الروا سعيدة حقا على كسلها واعتمادهـا على ثمام السقف أذا قيست بأولئك البائسـات فى قلب المشروع اللاتى لايجدن مايوقدنه غير بعر المعـزى وبعر البقر ، وبخاصة بعر البقـر لضخامته ومتانته وطول بقاء ناره ، وغير مايسرقنه بين حين وحين مـن قصب القطن ، وغير مايشرينه مرة فى العام ان كان لديهن من الدارهم وقلما يتيسر ذلك ، من هـؤلاء الأعراب الذين يأتون مـن أقصى الأرض ليجلبوا شر أنـواع الحطب الى قرى المشروع •

بل ان عد الروا لورأت الطعام الذى تطبخه شـبيهاتها هناك على نيران الروث المنتن لحمدت ربـها ولاعتدت عناءها وشقاءها رحمة من كريم رحيم • ذلك بأنها كثيرا مـا تطبخ لزوجها الملوخيـة الخضراء المجلوبة من سواقى الحلل المجاورة • وأحيانا تطبـخ البامية الخضراء وتحصـل على البصـل الأخضر والفجل والبنضورة • ولكن نساء قلب المشروع ليس بالقرب منهـن سواق تزرع فيها الخضراوات ولم تخصص ادارة المشروع لرجالهـن جزءا من الأرض يزرعـون فيـه ماشاءوا من بامية وبصـل وفجـل وملوخية • فهم يعتمدون دهرهم على الويكة اليابسة المجلوبة مـن بعيد تسحقها نساؤهم وتجعلها لهم أداما • نعم أن عدّ الروا قد يضطرها الفقر وغيـاب الدرهم الى اطعـام زوجها الكسرة بالماء القراح بعض الأيام • ولكن نساء قلب المشروع أيضا لا يسلمن من مثل هذا البؤس ويزيده عليهن أن العجائز والكهلات منهن لايزلن يذكرن أيام ما قبـل المشروع ، حين كان النّحى لايخلو من سمن ، والسّعن لايفرغ مـن رائب ومخيض وحليب ، والقساسيب ملاء بالذرة واللوبيـا والتمـر ، والخضرة على مـد البصر غب أول مطرات الخريف ، والطلح والعشر والسمر والكتر واللعوت والاخريت

والسيال فى كل مكان .

فرغت عدالروا زوجة عثمانود عبد السلام من صنع الشـاى وصبته فى البراد وأضافت عليـه ربع رطل من السـكر ثم خلطته فى براده بلبن السعيدة بعد أن كانت ملأت منه وهو أحمر كوبين صغيرين من الزجاج لها ولزوجها لأنهما اعتاد ان يبتدئا صباحهما بكوب من الشاى الأحمر قبل كل شىء اعتقادا منهما أن سيصيبهما الصداع ان لم يفعلا ذلك . ثم بعد أن فرغا من شرب الشاى جعلت له شيئا من لفائف الكسرة البائتـه فى اناء ومزجتها بملح وشطة وقطعت عليها بصلة . فلما شرع يأكل مضت الى العنقريب ورمت بنفسها عليه حتى اط وتوسدت ذراعها ثم أنت تخاطب زوجها :

ـ أنا موروودة

ـ آها بدينا من صباح الرحمن . يامره خافى ربك وما تتمارضى .

ـ لا والله مانى متمارضة . أنا والله موروودة وردة شديدة . والشاى دا سويته ليك بيخراج الروح .

ـ انت حمارة نوم وقلبك فطير . قومى يامره على اشـغالك وخلى التصنع والتنوع .

ـ انتو أكان الزول ماوقع يابس ميت ما بتصدقوا ؟ أنا باقول ليك حاسه بيحرارة الوردة تبهرج جواعضامى ليها لهبة .

ـ دا فتر سـاكت .

قال ذلك ونهض وأخذ بعصاه واتجه آلى ناحية حماره وهو نفسه يكاد يشعر بسخونة من الوردة ـ أى الحمى الملاريا . ولكنه لم يكن يريد أن يشكو الى امرأته فتكـون شكواه تأييدا لدعواها فتهزأ وتسخر

منه . ثم هذا يوم عمل ولن يعذره المفتش المستر هرسن اذا غاب ، ولعله يأمر بجلده أو يفرض عليه غرامة فادحة . ومتى كانت الحمى عذر لمزارعي القطن . انهم أبداغادون ورائحون شيوخا وشبانا بطونهم منتفخة من ألم الطحال ،وسوقهم كالمساويك رقة ونحافة وكأن على أبشارهم زيتا لصفرتها ونزيزها بالعرق الذى تبعثه الملاريا فى جلود المصابين بها ، ولايزال أحدهم حليف الحمى الغبية تختلف عليه بأصنافها حتى يزور القبور . ولعله أن يكون مع كل هذا يشكو من البلهارسيا والترخومة وغيرها من الأمراض الخبائث دوات الأسماء الافرنجية التى لم يكن لهذه البلاد بها عهد قبل أن تحفر شركة القطن قنواتها ذوات الماء الراكد والديدان والبعوض . وماذا يهم الشركة أو الحكومة أن يمرض جميع المزارعين مادامت تقدر أن تجبرهم على العمل وأن تمدهم بالعمال المستوردين من شرق القارة وغربها . و ن كل مايهم شركة القطن أمر قنواتها وقطنها .وقد مات جميع السكان بحلة « الترعات » فلم تذر عليهم دمعة بل اعطت أراضيهم فى الحال لبعض المهاجرين مما وراء الحدود . وبحسب المسئولين أن هذا المكان فيه شفخانة صغيرة تحتوى على عدد من القوارير المملوءة بمحلول انبوريك وشربة الملح يشرف عليها مساعد حكيم وتمرجي ويعيينهما فى عملهما هذا حلاق صحة وبعض الطلبة بضم الطاء لمراقبة الأنافولين وهى ناموسة الملاريا التى ترك دائما على زاوية وبهذا يمكن تمييزها من ضروب البعوض الأخرى التى لاتنقل الملاريا .

وركب عثمان حماره وجعل طرف ثوبه المسود من الودك والتراب والوسخ على رأسه ليقيه من لذع الشمس ولاسيما وهو الآن

يحس طرفا من صداع . وبينما هو راكب مر به عدد من آمثالـه على جحاشهم يتصايحون « عرد عرد » فحيوه ورد عليهم ثم قال :

ـ ما شين وين ؟

ـ ماشين السخرة . المستر هرسن رسل النباه البارح وقال كل ال خلس العزقة التانية والمويـة يجى

ـ ان شاء الله عوافى

ـ الله يعافيك . عرد . عرد .

حمد عثمان ربه أنه لم يكن من أصحاب السخرة لأنه لم يبدأ بعد عزقته الثانية ، ولأنه كان فى تلك الساعة يحس بحرارة الوردة فى عظامه فلو قد كان من أصحاب السخرة اذن ما كان دون جلده أو غرامته أو موته شيء آخر ذلك اليوم لأن عمل السخرة عنيف شديد وكثيرا ما يشرف عليه المستر هرسن بنفسه ويذيق المزارع الويلات أن لم يبذل أقصى ما يستطيعه وفوق ما قد يستطيعه من جهد وان عثمان ليذكر جيدا كيف تباطأ ذات يوم وهو يقلع أم صوفة من قعر الترعة مع غيره ممن وقعت عليهم السخرة فبصر به المفتش فانتهره ثم ركله بحذائه وأمر بجلده فصعقوه عشرين سوطا نهض بعدها يبصر الدنيا صفراء وحمراء وشهلاء .

وبعد نصف ساعة وصل عثمان الى حواشته فوجد أن القطن قد علت شجيراته غير أنه قد كان بينها عشب كثير لابد من التخلص منه . وتقريبا ما كان قد عزق الأرض وأنفق فى ذلك حر المال . ولكن هكذا طبيعة هذه الأرض . لا تكاد تنتهى عزقة حتى تبدأ الأخرى ولا يجز عشب الا نما مكانه أطول منه . أخذ عثمان ينظر الى الحقل ويسب

العشب والشركة والقطن جميعا . ولكن لافائدة فى هذا النوع من التذمر . فربط حماره ووضع السرج على الأرض . ثم نزع قميصه وبقى بالسراول وثنى حزة السروال من اجل التشمير حتى ارتفع فوق ركبته . وتفل على يديه وأمسك بطوريته وشرع يعزق الأرض ...

كان هذا أول ابتدائه للعزقة الثانية . ستكون بعدها عزقة ثالثة لعل وقتها يحين بعد ثلاثة أسابيع . وبعد ذلك الاستعداد للقيط القطن . الا أن عثمان ود عبد السلام كان يعلم اليقين أنه لن يستطيع الفراغ من هذه العزقة الثانيه أن لم يعنه أحد الا بعد شهر ، وذلك أمر لا يرضاه المفتش . والمفتش وأعيانه فى هذه الناحية من الدنيا هم وكلاء السلطان والحاكمون بأمرهم والمعذبون ان شاءوا وقلما يشاءون غير التعذيب .

وبينما هو منحن يعزق اذ مر بقرب الترس ثلاثة غلاظ سود حمر العيون مفلفو الشعور ، متسخو الأجسام ، ملابسهم فيها خروق يبدو من خلالها لون أجسادهم ، وبأيديهم أوان من القرع فوارغ معا وطوار متينة الأعواد براقة النصول ، وعلى رءوسهم وقايات صغيرة فوقها أقداح من القرع والخشب لعل فيها طعامهم ولهم صماح من طول عهدهم بالاغتسال والنظافة وتبصر على أرجلهم خطوطا غبشا من العرق الناشف — لأن العرق الكثير حين ينشف تكون له حدود من الملح والوسخ المتراكم وأقدامهم حافيه مشققه الأبطن من طول سيرهم بها يعتسفون الشوك فى الظلماء والرمضاء . أشبه شى بشقوق أقدامهم شقوق جروف النيل بعد انقشاع الفيضان .

اكان هؤلاء الثلاثة من المهاجرين الذين يقدمون كل عام من نواحى السودان الفرنسى وماوراءها طلبا للرزق فى وادى النيل . وهم قوم قد

تعودوا على مقاساة الشظف والشدائد وبأساء العيش . والعامة بأمدرمان تسميهم أولاد حداد كأنهم يريدون بذلك نعت ضراوتهم وجساوتهم كأنهم قد ولدهم الحدادون بين الفحم والنار والمطرقة والحديد . والناس يظنون أن الحدادين فيهم خشونة — والى قريب من هذا المذهب ذهب جرير فى هجائه الفرزدق حين زعم أنه ليس لدارم ولكن قفيرة جدته حملت لجبير القين .... فكأن تسمية ولاد حداد لاتخلو من لون فزع جنسى والله تعالى أعلم .

هذا وأولاد حداد يسافرون من بلادهم النائية سعيا على الاقدام حتى يصلوا حدود دارفور الغربية . وهناك لاتسألهم السلطات عن جوازات السفر أو نحو ذلك من الرسميات ، وانما يحلق رجال الصحة — فيما بلغنا — شعور رءوسهم وسوى ذلك ليقتلوا القمل الذى عليهم الذى لابد أن يكون مثقلا بجراثيم الحمى الراجعة وغيرها من الأدواء . وبعد أن يفرغ منهم رجال الصحة ان صح هذا الذى يزعمه الأمدرمانيون من حلاقتهم ، يندفعون فى صف طويل ، ماشين فى قطار طويل ، واحدا واحدا ، متبعين الطريق المؤدى الى الأبيض سعيا على أقدامهم ، لايركبون راحلة ولا يحاولون احدى احدى هاته اللوارى التى لاتكاد تنقطع بين الفاشر وكردفان . وينامون اذا أدركهم الليل على ناحية الطريق . وأحيانا — وهذا كثيرا ما يحدث فى فصل الخريف حين يشمل العشب كل الأنحاء ألا الشارع الذى تمر عليه العربات — يلقون بأنفسهم كالخشب على عرض الطريق ولايأبهون أنهم بذلك يعتاقون طريق اللوارى وهو رملى مرهق فى الوقوف ولايخلو بعض سواقى اللوارى بتلك الجهات أن يكون

سكران أو عجلان أو سيىء المزاج فيرى أشباحهم أمامه فيحسبها دكذاكا فيضغط على بوريه ليطمئن ويريح ضميره ، فآذا لم يسمعوه وكان نومهم عميقا اندفع غير مكترث فربما جرح أو قتل منهم غير قليل ، وأدرك صباح الغدسوء ما اجترمه من نيلته وبعل يعد الاعذار والحيل وقد لايجد ذلك جد عسير .

وقد يبلغ من جهل بني حداد فيما بلغني آذا أجنهم الليل بعد سير حثيث ، آن يجعلوا من قضبان السكة الحديد وسائد لهم ، يحسبون أنها آنما أعدت لذلك الغرض . وكثيرا ما يمر عليهم القطار وهم نائمون فيفرمهم فرما .

فآذا تجاوز هؤلاء المهاجرون البائسون سهول كردفان وأظلتهم جوانب النيل تدفقوا فى أرضه يطلبون العمل ، ومضى غير قليل منهم بقصد الشرق الى مشاريع كسلا وتوكر ، واندفعت طائفة منهم الى أمدرمان والعاصمة لتشتغل بالعمل اليومى أو الليلى ، وتسرب مئات منهم الى الشمال حيث مشاريع الزيداب ونورى والكلد وهلم جرا .

ولما كان المفتشون يعلمون مالهؤلاء الحداديين من قدرة على العمل الشاق ، ولما كانوا هم لايهمهم شىء ألا آن يجودوا محصول القطن بكل وسيلة غير مبالين بصالح الوطنيين ، فانهم آخذوا يحملون أصحاب الحواشات أمثال عثمان ودعبد السلام وغيره على تخديم أبناء حداد بأنفس الأجر . وكان بنو حداد يعلمون ما لهم من مكان فى قلوب المفتشين . فكانوا لذلك لا يتورعون عن ارهاق صاحب الحواشة بما شاءوا من الشروط .

مر هؤلاء الثلاثة الحداديون بقرب ترس عثمان ورمقوه بنظرات

معتدة مزدريـــة لاتخلو من نزعـــةانتقامية ولم يحيوه ووقفوا دقائق

ــ ما بتقولوا سلام ليشنوا باولادالناس

ــ سلام ألى (على) ايه ؟ آوز (عاوز) مننا ايه ؟

ــ السلام سنة الاسلام ياولادالناس .

ــ تيب (طيب) ســلام أليكـــم (عليكم) . آوز أيه .

كان يتولى مخاطبة عثمان كل هذه الآونة طويل ضخم كأنه كان يترأس ثلاثة بنى حداد . وقـــد أدرك أن عثمان يريد ان يستعين بهم على عزق الأرض ولـــولا ذلك ما اكترث بان يسلم عليه كما فعل بعد الحاج . ثم جعل هذا الرئيس الحدادى يصوب بصره ويصعده فى عثمان ثم يتخازر ويتحاوص ويكر اللمحة بعد اللمحه الى الحواشة ثم قال بعد لأى :

ــ الأرد (الأرض) بتاعتـــك دابتال (بطالـــه) . قس كتير . تأب (تعب) كتير . آه آه . ما بنقـــدر نأزقو (نعزقها) .

ــ اسمعو ياولاد الناس . أنـــا واحد وما معـــاى مســـاعد عـــلا شريكين . وكل واحـــد منا مشغول بنصيبه وقسمته . وأنـــا نايبنى من الحواشه خمس فدن وان ساعدتونى على عزيقا باديكم أجرة سمحة ويكون ألف كتر خيركم .

ــ نهنا ما نهبوس كلام كتير . آوز تدينا ايه

ــ ريـــال ونص

ــ أما كويس . نهنا منى همـــارما يفهموس .

ــ ما تزعل يا حاج ، الله يطيـــب خاتـــرك

وانما دعاه عثمان باسم الحاج مجاملة وتأدبا وتلطفا تشبيها لـــه بهؤلاء الذين يأتون من أقاصى بلادتكرور يؤمون ببيت الله الحرام

ـ انت آوز سقل . نهنـا آوزفلوس .

طيب يا حاج ريالين الفدان .

ـ ريالين ، يانى اسرين قرس . أهأه .

وأخرج الحاج هذه الاهات المقصود بها لا لأ من داخل قصب صدره وأتبعها هزتين لرأسه وحاكاه في ذلك صاحباه وأضافا على الأهتين « ننجو تنجو » ثم قال لعثمان !

ـ أهسن تأزقو هواسه وهـدك وتسوفو سقل مأ المفتش .

ـ اسمع ياود العـم .

ـ أنى مس ود أمـك

ـ يا الشيخ عبد الغادر الجيلانى

ـ انت ياود الناس لفظك زفر مانه .

ـ زفـر يأنى ايـه

ـ زفر مسيخ . أنا با فاوضك وباقول لك باديك ريالين

ـ أه . ننجو . اسرين قرس سانفأس .

ـ طيب يا خوى ريالين ونص

ـ يانى كسساسرين . ننجو . قاس .

ـ ياود العـم ، ان كان ريالين ونص ما نفعت النافع شنو ... سبع وعشرين قرش ونصيه ، ما عندى زيادة عليها ، أهاشن بتقول شاور رفاقتك الله يهديك .

ـ سورى الى ايس ما نقاس .

وبالرغم من نفيه هذا التفـت أخو بنى حداد ليشاور صـاحبيه وكانا كل هذا الوقت صامتين يراقبان الحوار بينه وبين عثمان . فراطنهما

وراطناه • وبينما هم فى رطانتهم جعل عثمان يهمهم لنفسه بصوت كالمسموع مكررا اللعنات على الشركه وعلى بني حداد ، وهو بعد على ثقة أن هؤلاء الثلاثة المهاجرين لن يستطيعوا ان يفهموا حرفا واحدا مما يهمهم به بالرغم من مشهم وآشهم وما اليها من ألفاظ اللهجة البندرية المتحذلقة التى بلا شك قد التقطوها التقاطا كالببغاوات فى الأبيض أو أم درمان أو ود مدني أو غيرهن

ــ الغوا واتراطنوا لغو الطير • رجاى من الكريم تزقفكم زاقفة كذا البرق تزعبكم من قرعكن قرع الهوان وتزقف مفتش البلا معاكن وتريحنا من النكد دا ومنكن ومن شركة الشيطان يا غنم ابليس

ــ قولي ايه

ــ الضفرة والداهيه الضكرة

ثم يرفع عثمان صوته متلطفا أو كالمتلطف :

ــ أها ياحجاج ، اتفقتوا على شنو ، الله يهديكن

ــ تلاتين قرش آهر كلام

ــ سمح أدخلوا • ابدوا بسم الله وتوكلنا على الله • والله يقطع دابركم ويكسر خاتركم

فيدعون قرعهم الى جانب الترس وينزعون قمصانهم الأسمال ويدخلون لأذرعهم عضلات ، حاملين طواريهم على أكتافهم ليعزقوا الأرض •

وينظر عثمان اليهم ، ونصف عقله تفكير فيما سيدفعه لهم متى انصرم النهار ، انه مهما يجهد نفسه فى العمل فلن يفرغ من نصف فدان قبيل الاصفرار ، هذا اذا لم تشتد عليه الملاريا وقد أخذت بوادر

رعدتها تسرى فى مابين ترقوته وفقار ظهره • وقد كان يعلم فى نفسه ان الحدادين سيستعينون باثنين أو ثلاثة من قبيلهم وسينتهون من الافدنه الخمسة قبل اكتهال الظهر • معنى ذلك أنه عليه أن يعطيهم حينئذ اثنى عشر أو ثلاثة عشر ريالا • ومن أين يحصل على هذا المبلغ الجسيم وليست عنده الآن بقرة أو عجلة فيبيعها ، الاعنزه السعيدة — كلا ، لن يبيع السعيدة على أية حال • نعم ، ان الشركة قد صرفت له بالأمس جنيها دينا تعينه به على العزقة الثانية وتخصمه بعد الحصاد من ثمن المحصول وتخصم معه أرباحه • غير انه كان يجهل هذه الناحية • وأنى له — وهو مسلم أمى محرم عليه الربا أن يعرف معنى الربح وحساب « المأية » وهذا الربا الذى ليس بأضعاف مضاعفة كالربا اليهودى الذى يقال ان الشيخ محمد عبده زعم أنه حلال فى الاسلام ، أعاذ الله الاسلام من شر تحليله • وقد دفع عثمان من هذا الجنيه الواحد ثلاثة ريالات لسليم ود حمد نا الله صاحب الدكان مقابل ما استجره منه من سكر وشاى وبن وتمباك وشعيرية كان أكرم بها ضيفا نزل به ، وقد بقى عليه أضعاف ما دفع ، وقد وعد سليما أن يسدد له الباقى من سلفية العزقة الثالثة • ولكنه حتما لن يستطيع ذلك • ولا تخلص له من هذا المأزق الذى هو فيه الآن الا ان يمضى الى سليم مرة أخرى ويستلف منه ما يدفع به أجرة الحدادين ويعده ان سيسدد الدين بعد جنى القطن أو عندما ينتج محصول الذرة ، انه سيعطيه ثلاثة أرادب فى سعر سبعة ريالات ونصف للأردب • ثم سيضطر الى استجار هذه الأرادب مرة أخرى من سليم عندما يعز الذرة فى سعر نصف ريال للربع هكذا كانت حياته منذ أن بدأ العمل بالمشروع • ولا جديد تحت الشمس •

وأخرج الحقة من جيبه واستف منها سفة وضعها بين شفته السفلى وأسنانه ثم أخذ الطورية وذهب ليشارك بنى حداد فى العزق •

(٢)

قعد المستر جونسون على كرسيه الوتير وأمامه « طاولة » من المهوقني عليها زجاجة مملوءة بالويسكي والسودا ، صفراء زيتية اللون ، وازاءه المستر هورسون على كرسي مشابه وأمامه طاولة من المهوقني وكأس دهاق . وعلى بعد منهما مصباح كهربائي على عمود قد حفت به آلاف من الحشرات الصغيرة ذوات الأجنحة . ومن الفراش ألوان وأنواع .

ــ كيف وجدت هؤلاء الناس ؟

وكن المستر هورسون اذسأل هذا السؤال يشير الى حفلة الشاي التي أقامها لهما أحد الأعيان لما سمع بقدوم المستر جونسون المفتش الجديد . وقد كان المستر هورسون ، الباشمفتش ، قد رحب بالفكرة لما عرضت عليه ، لأنه كان يحس حرص المستر جونسون على رؤية الناس والتعرف بهم والاطلاع على أحوالهم ، وكان يظن ان هذه الحفلة ستتيح للمستر جونسون فرصة أن يرى من يحسن به أن يراهم . ليس من الحكمة ان يحط حاكم أوروبي ممتاز من قدر نفسه بمحاولة الاتصال بالشعب الأهالي . ان كان لابد من الاتصال بهؤلاء الأشقياء فمكان ذلك الحواشات والسخرة . لكن قد يجوز للحاكم الاوروبي الممتاز أن يتنازل ، ويزور ــ زيارات رسمية ليس الا ــ هؤلاء الأعيان االذين يشرفهم مثل هذا التنازل ولا يألون جهدا في انفاق كل بيضاء وصفراء لاكرام الحاكم الذي يتفضل عليهم به ... اغتنموا مال السلطان وطعامه . وأي مال وأي طعام أنفع من اقباله حين يقبل !

وحسا جونسون حسوة من كأسه ثم قال :

ـ انهم قوم كرماء ومؤدبون جدا وقد أعجبتني ثيابهم البيض ونبل حركاتهم وخلو تعابيرهم ولحظاتهم من روح الحقد الذى ينتظره ويجده الرجل الأبيض فى افريقيا

ـ انى مسرور جدا لاعجابك بهم . انهم أفضل شخصيات هنا . أما البقية فكالحيوانات تماما .

ـ وهؤلاء ليسوا من عامة الأهالى ؟

ـ أقول لك هؤلاء خيره الوطنيين الساكنين فى هذه الجهة . أما البقية فلا يحتملون .

ـ انى متشوق جدا الى رؤيـة هؤلاء الذين لا يحتملون .

ـ لا تعجل . انك ستراهم غدا عندما نقوم بالمرور .

ـ لكنى سأراهم حينئذ فى مظهر العمل ، وليس هذا كافيا . انك تعلم أنى قدمت لمسألة تعليم الكبـار والاصلاح الاجتماعى .

ـ ان مظهر العمل هو أفضـل مظهر تراه هنا . ان الوطنيين الأهالى كسالى وسخون . وسترى قذارتهم مجسمة امامك فى الغد . ولا يمكن اصلاحهم قط لجهلهم وجمودهم . وقد كان الباشمفتش الذى سبقنى ، المستر مكارتى يقول انه لا طريقة لتعليم الوطنيين الأهالى الا بالسوط .

ـ طبعا هذه وسيلة عنيفة اظن ان الهولنديين كانوا يتبعونها فى جاوة وأن البلجيك والبرتغال يتبعونها فى مسـتعمراتهم ، لكنها ليسـت فى تقاليدنـا

ـ حقا انها ليست من تقاليدنا

وحسا المستر هورسون حسوات من كأسه وتناول من وعاء السجائر سجارة وكذلك فعل جونسون

ـ لكن يا اريك أرى أن مسترمكارتى ليس مخطئا كل الخطأ فى نظرية السوط هذه . فهؤلاء الوطنيون الأهالى يفهمون باجسادهم أكثر مما يفهمون برءوسهم . وقدجربت الضرب معهم ولكن نفسى نفرت من أن آمر بجلد أحدهم عشرين جلدة أو نحو ذلك فانا الآن اكتفى بتغريمهم . وأحيانا أركل الكسلان منهم أو أضربه على كتفه ضربه واحدة بالسوط لأريه غضبى . انهم كالأطفال تماما . وليس فى الضرب القليل الذى يجىء بدون تكلف بين حين وآخر مضرة لهم .

ـ انى لم أكن أظن أنهم بهذه الدرجة من الغباوة . على كل حال لا أرى أن الضرب هو الوسيلة الصالحة .

ويضغط جونسون زرا أويضرب نويقيسا صغيرا من النحاس فيحضر أحد خدمه حاملا زجاجتين مملوءتين ويسكى سودا

ـ انتظر قليلا يا اريك وستصل الى نفس النتيجة التى وصلتها أنا .

وتدور بينهما ضروب من الحديث حتى اذا حان وقت العشاء استأذن هورسون فى الخروج وقال لجونسون :

ـ سأرسل أحد خيلى مع الخادم لك فى الصباح ـ ليلتك سعيدة .
ـ ليلتك سعيدة

وفى الصباح خرج جونسون وهورسون على حصانين هيكلين يتبعهما حسن وتوفيق خادما هورسون ، على فرسين أيضا ، واتجهوا كلهم نحو الحواشات حيث العزيق قائم على قدم وساق . ومنذ أن وجد جونسون نفسه مشرفا على كل شىء من فوق صهوة الحصان أخذ يخالجه شعور غريب . شعور السيادة والعظموت . انه هنا ليس بالرجل الهيوب المتواضع الذكى الذى اعتاد أن يدخل فى

الجدل فى حجرة اللاونج بمنزل اتحاد الطلبـة أحيانا ٠انه ههنا بمنزلـة الحاكم ٠ هذا الحقل الواسع الذى يكاد يذعن لوقع حوافر فرسـه ٠ وهؤلاء السود الثياب والجلود المستكينون ٠ وهذه الحمير الشعثاوات ذوات الدبر ٠ أيستطيع المرء ههنا ان يجمع بين اشتراكيته ومايتمتع به من نفوذ وسلطان ؟أكان يجوز له من الوجهة المثاليه ان يستخدم هذا العدد من الخدم الذين أحضرهم له الباشمفتش

دع الأجرة فانها غير تقابية ؟ لعل مجرد قولنا تقابة للخدم المنزليين يشتمل على تناقض جوهرى ٠ لكن ا ن يقدر المرء ههنا أن يباشر كل شىء بنفسه ٠ استخدام الخدم ضرورة لا مفر منها ٠ ثم هم سيكونون بلا عمل ان لم يستخدمهم هو على وجه التخصيص ٠ انه لا شك يؤدى بذلك خدمة للانسانية ٠ ولكنه قدقدم هذه البلاد لأمر التعليم

والاصلاح الاجتماعى المنظم على أسلوب تعليمى ٠ وها هو ذا يجد نفسه يقوم بعمل المفتش الزراعى مع ان الشهادة الأكاديسية التى معه فى علوم الجغرافية من التدريس ٠ لكن الرئيس الكبير الذى لقيه عند وصوله أكد له أنه سيكتسب تجارب قيمة من التفتيش الزراعى ٠ على كل حال سيقوم بواجبه أفضل قيام ٠

ومرا فى تلك الساعة بقرب حواشه كان صاحبها فى ناحيه بعيدة من طريق مرورهما ٠ وكان قد انطلق حماران من وتدين عند زاوية من الحواشة فى طريقهما وجعلا يعبثان فى طرفها كما تصنع الحمير التى يركبها الناس ويمنعونها من الرتوع فى الخضرة ٠

وأقبل صاحب الحواشة مهرولا يصيح بالحمير :

ـ عوك الرميد ٠ عوك الخرابة ٠

وأسرعت الحمير هربا . الا ان المستر هورسون الباشمفتش قد كان لها بالمرصاد :

ــ تمسك الهمير ويأخد واهد همله (حمله) أشان (علشان) رجال بتال بتاء (بتاع) همير يمسك قرامه .

ــ حاضر جنابك

ــ انت يكون نايم والا فين ؟

ــ كنت باعزق ياجناب المفتش

ــ موش آوز يكون واهد كسلان زيك توارد اندى (عندى) نهاردا قرامة واهد كمسين قرش

ــ حاضر جنابك

ــ يمشى واهد كسلان

نعم ان المزارع كان مهملا . ولعله ولعلة قد كانت زجرة او زجرتان تكفيانه . هكذا فكر جونسون . أما الركل فلا . وعلى كل حال ان هذا الذى ركله الباشمفتش ــ ركلة غير شديدة بالطبع ــ منذ دقائق لا يختلف منظره كثيرا عن هذه الجحاش . وضرب المستر جونسون أحد الجحاش التى كانت فى طريقه ليستجن نفسه . الاشتراكية والمسألة القومية . ان الأهالى المتأخرين ربما كان فى صالحهم ان يعطوا حقوقهم بالتدريج . كانا يسيران على حصانيهما ووراءهما الخادمان .

وبينما جونسون مغرق فى التفكير من فوق صهوة الحصان المشرفة على كل شيء مر أحد الخفراء على حماره النشيط . حمار كأنه الحصان . مثل النوع الذى يقال له (بونى أى برذون) وتركبه الفتيات فى مجرى الخيل الترابى الذى حول هايدبارك تقليدا للطبقا شبه الارستقراطية فى

الزمان السالف . وعندما حاذى الخفير المفتشين نزل من الحمار ورفع يده بالتحيه . فرفع المستر هورسون سوطه كالراد عليه . وهم الخفير أن يركب برذونه مرة أخرى بعد ان جاوز المفتشين بعدة أمتار ولكن حسن الخادم صاح به !

ــ هدرة المفتش عاوز يتكلم وياك

ــ حاضر جنابك

ــ الهواشه دا بتاء مين ؟

ــ حواشه سلمان ود عمر جنابك

ــ الهواشه دا وسكان كالص

ــ جنابك سلمان ياخد جزا

ــ قبول أوامر بتاءى يواردتنين جنيه قرامه .

وبينما المستر هورسون يصب أوامره للخفير ظهر سلمان ودعمر من جانب الحواشة فقد كان منحنيا يقلع بعض الأعشاب .

ــ انت تآلى هنا

ــ حاضر جنابك

ــ انت كسلان وهواشه بتاءك وسك

ــ والله عزقتها بى عزما شديد جنابك

ــ انت واهد كسلان

ــ جنابك الشغالة مرقوا منها بس يوم أمس . ادخل جوا فيها جنابك فيشان تشوف بينظرك

ــ ميوش آزين نيشوف .وسك هينا كفاية كالس .

ــ والله جنابك الحواشة نضيفه .أدخل جوا جنابك . وجناب المفتش

الجديـد كان حب لدخـل كمان وشوفوا بينظر كن •

ويتقدم سلمان الى حصـان المستر جونسون ويهم أن يمسـك بلجامه ولكن المستر هورسون ينتهره باشارة من سوطه :

ــ انت ما يمسك هسان جناب مفتش جديد واكفهر وجه المستر هورسون وهو ينطق بهذه الكلمات

ــ انت واهد بتال • انت بمسات قرامه اثنين جنيه بيوارد انهار دو

ويفتح سلمان جزلانه ويخرج منه جنيهين

ــ حاضر جنابك مستعد

ــ الخفير بيكره بيمل واهد واسل ألشان انت •

ــ حاضر جنابـك • بس كان دخلت جوا وشفت الحواشة نضيفه جنابك متل المراية •

ــ ميوش نيهب كيلام كتيـار تمشي يللا •

وينصرف سلمان مسـتخـذيا بعد أن فـدى نفسـه بالغرامـة وأنما اسـطاع ان يحصل على هـذين الجنيهين وسبعه أخر ببيعه ما كان سرقه من محصول القطن فى السنة الماضية وما حصل عليه مما سرقـه آخرون •

والتفت المستر هورسون الى الخفير

ــ انت بيمل واهد واسل ألشان اثنين جنيه وواسل تاني أشان كمسين قرش بتاء راجل بتاء همير آبدلقادا

ــ عبد القادر ود معروف جنابك

ــ أيوا هو همبيا فى هواشا بتاءو

ــ جنابك هو يستاهل واحـد جنيه غرامه

ــ لا كلاص أنا أقرمه كمســين باس • ونيقرم بتاء همير واهد جنيه
ــ نعم جنابك أنا رايــح أحضر الوصولات

لقد كان الباشمفتش المستر هورسون أوائل أيامــه بالمشروع يحسب أن الضرب هــو أجــدى وسيلة لتأديب السود • ولكنه الآن بعد التجربه ، قد اكتشف ان الغرامة أفضل بكثير •لأن أكثر الناس هنا أجلاف اذا حكم على أحدهم بالضرب اعتد ذلك فرصة ذهبية لاظهار شجاعته وجلــده • زد على هذا أن هــذه الغرامات مفيــدة • انه يوردهــا لخزينة مخصوصة لها سماها خزينة الغرامات • بالطبع لم يكن له سلطة رسمية لتوقيع الغرامة على أحد •ولكن بحكم أنه من الشعب الحاكم كان هذا يجعله بمنزله قاض مــن الدرجــة الثانية ــ والخزيــنه المخصوصة كثيرا ما كان يلجأ اليها لما كان يسمية منافع عامة مثل زيادة المكافآت للخفراء والخدامين أحيانا •خادماه حسن وتوفيق كانا فى نظره موظفين عملهما شــديد الصــلة بالمصــلحة العامــة لأنه هــو كان الممثل الأول للمصلحة العامة •ثم هما بحكم صلتهما المباشرة بــه لعلهما يكونان الشخصين الوحيدين المتمدنين فى هذه المنطقة • وجهاء البلد وأعيانها على أهميتهم متوحشــون يمثلون مفهومات همجية • أما هذان فبالنســبة اليهم حيــوان أليف •الخفراء يجيئــون فى المرتبــة التى بعدهما •

وهمز المستر هورسون حصانه فأسرع به شيئا وكذلك فعل المستر جونسون والخادمان على أثرهما •وبعد دقائق أدركوا الخفير . فلمــا حاذاه المفتشان نزل راسبا من على حماره • بخفة رافعا يده بالتحيــة ولكنهما قد تجاوزاه بنحو مائة من الامتــار وسرعان ما وصــلا الى

حواشـــة عثمان ود عبد الســـلام فوجداه يعـــزق ومعه خمسة مـــن الحدادين .

وكانت هذه أول مرة استرعى فيها نظر المستر جونسون اختلاف ملامح الحدادين عن غيرهم مـــن المزارعين . نظر اليهم وهم يعملون جادين . وقد وقف المزارع عثمان تأدبا واحتراما للمفتشين الأوربيين . انه أخضر ضارب الى الصفرة فى خده شلوخ سلم الشيخ الطيب وشـــعره قصير حديث عهد بزيانة وله شـــفة هدلاء وأنفه غير أفطح وهـــو الى النحافة والطول . ولعله يكـــون مريضا . هكذا رآه المستر جونسون المفتش الجديد . ولم يكن يرى من الآخرين وهم منحنون يعملون غير سواعدهم المفتولة جائية ذاهبـــة بالكندكات . وجباههم المنخرطـــة كجانب هرم وفوهات مناخرهم حين يرفعون رءوسهم تحتها شفاه ضخام وألوانهم بين الزرقة والسواد عليها بياض أغبش من العرق . نظر المستر جونسون اليهم والى عثمان فقرر فى نفسه ان هذا الرجل الضعيف الخاشع الواقف وقوف تملق ليحييه ويحيي المستر هورسون انما يستغل هؤلاء الآخرين ويسخرهم .

هكذا سمع من أحد الصحفيين قبل قدومه هذه البلاد .. الوضـــع الاجتماعي تابع للون . الأبيض جدا هو الأوربى الحاكم . والأبيض الذى يليه هو الأوربى البقـــال . والذى يكون فاتح اللون من أهالى الشرق الأدنى وماإليه من الشمال أو الوسط الافريقي يتعاطى الأعمال المكتبية والادارية تحـــت اشراف الأوربى وهؤلاء صنف متعاون جدا مـــع الرجل الأبيض فى مهمته الشـــاقة . والافريقى كلما اشتد سواده ابتعد عن الوضع الاجتماعى الرفيع وبعض هؤلاء منهم الطبقة غير المتمدنة من

الخدم المنزليين وعمال الصحة لان دورات المياه حتى الآن غير موجودة في هذه الاقاليم المتأخرة .

اعتقد المفتش الجديد في نفسه انه قد وجد الآن ظاهرة اجتماعية قد يكون في امكانه معالجتها ان أعانه صديقه الباشمفتش . غير أنه يريد أولا أن يتأكد أن عثمان مختلف من ناحية عنصرية كما يدل مظهره عن هؤلاء الخمسة الآخرين الذين يعملون . انهم جميعا رجال سود . ولكن يبدو أنهم ليسوا من فصيلة أو شعب أو نوع واحد . والتفت المستر جونسون الى المستر هورسون يسأله بلغته :ـ

ـ هؤلاء الخمسة الذين يحفرون

ـ هؤلاء عمال يشتغلون باليومية .

ـ هل هم من أهل هذه المنطقة

ـ لا . هم من غرب افريقيا . وأهل هذا البلد يحتقرونهم .

ـ هذا بالضبط ما جئت لا بحث عنه هل يعطونهم أجورا حسنة ؟

ـ كلا . ان المزارعين لصوص . وان استطاعوا أن يمتصوا دماء هؤلاء العمال ما تورعوا عن ذلك غير أننا لا نسمح لهم بذلك . نحن هنا يا أريك لحماية الرجل الضعيف

ـ يبدو لي ان هؤلاء العمال أصح أجساما من هذا المزارع

ـ نعم . اننا نتأكد أولا من أن المزارع سيعطيهم أجره حسنة وهم قوم بسطاء ينفقون الأجرة على الطعام وأحيانا يشربون البيرة الأهالي وهي غير سارة بالنسبة لنا ولكن مغذية بالنسبة لهم أما المزارع فهو يدخن السجائر الرخيص ويمضغ التبغ الأهالي ويهلك نفسه بتزوج عدد كبير من النساء ولهم عادات كثيرة متأخرة غير صحية

ـ يبدو لى انكم ياجون تؤدون هنا عملا انسانيا قيما للغاية . ان دعاية التقدميين وكل الكتب الاشتراكية التى قرأتها تصور الأوربيين وحدهم بصورة المستغلين لسكان أفريقية ولكن لاتذكر شيئا عن استغلال الافريقى لأخيه الافريقى

ـ ان كتب الاشتراكية ومقالات التقدميين المزعومين كلها مبنية على نظريات فارغة . انهم ليس لديهم أى شيء من ناحية التجارب والوجهة العملية .. انهم فى حاجة لأن يحضروا ههنا ليروا بأعينهم ...

ثم قطع المستر هورسون محادثته والتفت الى عثمان الذى كان واقفا بكل تأدب ينتظر أن يخاطبه جناب الباشمفتش

ـ انت واقف بيمل ايه

ـ أنا قايل جنابك داير تتكلم معاى

ـ انت اسمك مين

ـ اسمى عثمان ود عبد السلام جنابك

ـ انت أو سمان ميش كسلان نهار دى زى كيل ياوم . أنا آوز وساكه دا بتاه هواشا بتاءك يكون ما فيش ساعه اتنين بدابت نهار دا .

ـ نحن جنابك فى داب العمل هسع دى . وانت جنابك شايف

ويرفع الباشمفتش سوطه مشيرا الى الحدادين الذين كانوا ساعتئذ منهمكين فى العزيق وقد قطعوا شوطا بعيدا .

ـ يازاول اتنا بتاء أزيق

ـ نأم هدرة باشمفتش

ـ راجل دا اوزمان بيتاكد مينو كام أجرا بتا فدان

ـ لاتين قرش هدرة باشمفتش

والتفت المستر هورسون الى عثمان منتهرا

ــ انت راجل واهد هرامى • انت زى كيول مزارين بتاتى كلكم هراميا تلاتين قرش ميوش كفيا ألشــان أولاد بتاعو أزيـــق

فقال عثمان متضرعا محتجا الى جناب الباشمفتش

ــ لا كين جنابك ما بقدر أدفع أكتر من تلاته ريال • تلاته ريـــال كتيره خلاس يا جناب الباشمفتش وأنا مزارعى مســـكين نايبنى فقط خمس فدادين مـــن الحواشـــة • وجنابك ما صرف علا عشره ريال • جنيه واحد • واحد جنيه يا جنابك • وأجرة الشغالة ديل زايده على الاطنعشر ريال فى حساب الفـــدان تلاتين قرش • وما بقدر عليهـــا ان زادت على التلاته ريال • ما بقدرقط يا جناب الباشمفتش بالكلية

ــ انت راجل هرامى وبكسلان • ويشركه تمسك وهد جنية ألشانك مساعدة • بس • ميوش لازم آل شركه يمسك ألشانك أجرا بتـــاء شقاله • انت تيدفا لشقاله من سرفيه بتاء قتن ومن ألاوى بتاء هواشا • ميوش لأزم ألشان شركه تيـــدفا ألشانك •

ــ حاضر جنابك

ــ انت يدفـــأ ميش تلتين • انت انت ييدفا أربين ألشان فيدن ألشان ولد بتاء رأزيق

نطق عثمان ود عبد السلام بهذا يرفع بصره الى المستر هورســـون ويقول متضرعا :

ــ ان كان بقت على أربعين قرش، أربع ريال ، يا جناب الباشفتش أنا علا كان مـــا أخلى الحواشـــة دى وأفتش لى شغلة أخرى •

نطق عثمان ود عبد السلام بهذا التهديد بالرغم من نفسه وهو واثق أنـــه لـــن يجـــد شـــغـــلا آخر • نطق به متوكـــلا على الله

مهولا به عسى ان يرعوى الباشمفتش الجبار عن غيه وغطرسته • وعندئذ تقدم أحد الخادمين حتى صار قريبامن المستر هورسون وقال كالناصح لسيده ولكن في لون من جراءة ما

ـ اسمأ ياجناب المستر هورسون، انت عاوز تكتل المزارع المسكين دى • تلاتين ارش كتير هالص • وازاانت يا جناب مستر هورسون آوز تسائد المزارئين بتوءك أهسن تئمل الأقره اشرين ارش •

فالتفت المستر هورسون الى حسن يخاطبه باللغة الافرنجية على أن حسنا لم يكن يفهم منها شيئا الا كلمة أو كلمتين

ـ يوثنك سو هسان ؟

ـ أيوه سنك سو •

ـ انت آندك بكت ياراجل بارأوسسان • أنا بنسيبك مرا دى ألشان كاتر بتاء هسان ولد بتاءى

ويزجر المفتش حصانه ليزور شانا آخر ويذيقه البرحين ويصحبا ركبه • فاذا ساروا غير بعيد اشار عثمان ود عبد السلام الى حسن أن يتريث • فيتأخر شيئا عن صاحبه ثم يخاطب عثمان كالمنزعج من اشارته

ـ آوز ايه ياشيه • أهو هلصنالك من المستر هورسون

ـ أنا يا أخوى بادور أشكرك على معروفك مايقدر على جزالك الا الله

ـ لا • دى مش هاقه • أصله الباشمفتش ده دين كلب • وواهد أليل أدب • دى لوأت أبل شويه ءقرم أبد الآدر وسلمان مر • ومش عارف يئمل ايه بادى كدا •

ـ غرم عبد القادر وسلمان يا خساره

ـ أنا لازم اروح بادى كدا • ماسلامه

ـ اصبر شويه يا حسن أفندى

وانما لقبــه عثمان بلقــب الآفندى لأنه يعلم أنه ذو نفوذ لدى الباشمفتش

ثم انحنى عثمان على قميصــة المطروح على حافة الترس فى وهج الشمس لتدخل أشعة الها جرة فى ثناياه وتميــت الصؤاب والقمــل المختبىء فيها • واستخرج جزلانه بخفة وفتحه وأخذ منه ريالا أبــا عشرين • وكان حسن كــل هــذا الوقت فوق حصانه يتصنع الغفله وينظر الى الأفق البعيد • فما نبهه من تغافله هذا الا راحة عثمان على جانبه ثم تحشر فى جيب قميصه الذى كان دون السرج وفوق الركــاب قطعة فضية كبيرة

ـ دى ايــه دا

ـ ما تقول شى يا حسن أفندى • هدية مينه منى ليك تاخذ بيها قهوه ليك وولتوفيق أفندى وأنا لومانى عارفكن مشغولين كنت بسوى ليكن دعوة عيزومة فيشان انت يا حســن أفندى راجلا فيك مروه

ـ لا دا ما كانش فى لزوم أشانه ياشيه عصمان

ـ ما تقول شى يا خوى تب ، كترخيرك على معروفك وربنا يقدرنا على جزاك

ـ تيب ياشيه أصمان ما سلامه •

ـ الله يسلمك يا حسن أفندى

(٣)

ـ انت يمسك ألاوه كمسهواشرين قرش من الشهر الجايى أنشان شقل كوايس بتاءك

ـ مع اشكر الجزيل جنابك ، كتر خيرك جدا جناب الباشمفتش . القطن انا اشتغلت فيه لى خمسطشرسنه ما شفت مفتشا مثل جناب الباشمفتش يرحم ليحق الغفراالمساكين

ـ انيت تيرف أبكر قونا يبمثل ابه ديلوكتى

ـ جنابك حسن ما كلمك

ـ هسن هو ايه اليعرفوا يهيرالبلد بتاكو البتال دى

ـ والله انت الطايره بالهـواتعرفها يا حسن .

ـ أنا موش مقفل بس انا راجل تلزم الأشغال بتاعى

ـ انت قفيا ، يركب هسار ويمشى لهواشه بتاء أبكر قونا

ـ جنابك أنا با مشى بكرعى ومايركب معاك وكتر خيرك على اذنك .

ـ هو قفير دا ولد كوايس هسان

ـ أيوه هدرة باشمفتش هوكوايس ديلوكتى بس الناس بتوء البلد دا كله هراميه .

ـ **جنابك عاوز** حواشة أبكر قونا ...

ـ جنابك لكن هو فى السوق

ـ ييشل شنو فى سوك .

ـــ جنابك باقى فتح له دكان

ـــ دكان . أبكر قونا فتا دكان

ـــ آى جنابك . باقى شبع الأيام دى . وايديه

.... وايديه جنابك

ومد عبد القيوم الخفير يديه يشير بهما للمستر هورسون

ـــ .... وايديه لانن زى واحدست وبقن ما يستحملن الشغل دحين سوى له شريكين تكارنه زيه .

والمفتش كل هذا الزمن يهـز راسه ويسمع ويكت بسوطه الصغير فى عرف حصانه والحصان ماش خطوة خطوة .

ـــ انتى يا عبـد الأيـوم تارفى اللهبطة تمام

ـــ فضلة خيرك يا اسطه حسن . جنابك أبكـر قونـا عاوز يخسر علينا التكارنة .

ـــ آ آ

ـــ جنابك لمان يشوفوا أبكر عمل تاجر وعمل له شركا تكارنه جنابك يطمعوا كلهن ويخلو العزيق وداخطرى علشان القطن وفيه خسـارة كبيرة للحيكومه وللشركه

ـــ آم

ـــ جنابك العزيق ما بيقدروا عليه اولاد البلد . جنابك ابكر عمل عمل بطال . لازم تعملوا موعظه جنابك . أكان يتشال من الحواشه والا ينشال من البلد تب . أصله العمدة متحين عليه وأيضا الريس جنابك ناظر الخت .

ـــ انت يقـول رايس مويش مبسوت منو

ـــ أيوه جنابك . أبكر ماهو قاعد فى الواطه . كمان هو بتاع أسحار

وعروق وفيه مضرة شديدة للناس جنابك .
ـ تيب كتر كيرك فقيا
ـ أها سعيده جناب الباشمفتش ، مع السلامه
ـ ما سلامـك

ـ سعيده يا اسطه حسن
ـ سعيده يا عبد الأيوم
ويسوق عبد القيوم حمـاره مسافه ثم يركب ويلتفت الباشمفتش الى حسن داود
ـ نهنا نمشى سـوك بكرا يـاهسان

ـ تيب جناب باشمفتش . بس لازم ديلواكت نيشل سوفت هالس ألشان ميئاد بناء شاى وبأدين قاى راجل خباص دا فى البيت
ومضى المسـتر هورسون وحسن الى المنزل . وبعد قليل كان المستر هورسون والمستر جونسون كلاهما جالسين الى شاى العصر . وكان أصيلا ذهبى الشعاع ذهبى الظلال ، رقيق النسيم . وقد خضب الأفق بحناء الشفق والبصر يسرح فى أمواج القطن الموشاة بعسـجد الشمس .وقد اخذت ترمق الدنيا باحتضار المغيب
ـ لقد كانت تجربة جد سـارة ولكن لازال فكرى مشغولا بهؤلاء العمال من غرب افريقيا .

ـ انهم قوم شديد والنشـاط يعتمـد عليهم فى العمل يا اريك . ليسوا كهؤلاء المحليين الكسالى
ـ ولكن لماذا لاتعطونهم حواشات كغيرهم من المزارعين
ـ آه . هنا ندخل فى السياسة . اننا لو أعطينا حواشة واحدة لهؤلاء

الغربيأفريقين لثارت ثائرة السكان‌ههنا • ولرددت ثورتهم الجرائد ثم دوى صدى الضـجه فى الراديـو المعادى لنا • لا يا أريك • ليس من الحكمة استخدامهم •

ــ ولكن الى متى تسـمحون باستمرار هذا الاستغلال من جانب المزارع للعمال الزراعيين •

ــ عنصر الاستغلال ؛ واسمح لى أن أصحح تعليقك ؛ ضعيف جدا

وذهب وقت الشاى وجاء بعدالحمام والبنطلون الأبيض والحزام الأسود وقت الويسكى سودا

ــ لأننا بالطبع نقف الى جانب العمـال الزراعين وننصفهم مـن المستأجرين • نعم يوجد نوع مـن الاستغلال الانسانى • فالمزارع ههنا يكره أن يدنس نفسه بالعمل اليدوى ويترك هذا عادة للعمال الزراعيـين وبالطبع يكون مكان العامل الزراعى اجتماعيا حقيرا من أجل ذلك فاذا تذكرت أنه عامل اجنبى وزنجى من غرب افريقيا فتستطيع ان تتصور ان المزارع الأهالى ههنا ينظر اليه نظرة ازدراء • كما يفعل البيض مع زنوج أمريكا تماما • ولكن وجود نفوذنا ههنا قد قل الى حد ما درجة هذه النعـرة العنصرية • أنا بالذات قدبذلت بعض المجهود فى محاربتها •

ــ من الغريب يا جون ان هؤلاء العمال الزنوج اللاعـرب يبدون أصح وأمتن أجساما من المزارعين الأهالى هنا •

ــ صحيح • سبب هذا ما قلـت لك ان المزارع الأهالى هنا فخور لا يعرف قيمة المال ويضيعه فى الأمور التافهة • واشتراء الثياب والسكر بدون داع وكميات كبيرة من الشاى والنساء طبعا • الا يعجبك يا أريك هذه الامسية • ان مثلها نادر فى هذا البلد الحار •

ولكن أريك جونسون لم يكن يريد ان يتحدث عن الأمسية كان بكل فكرة مشغولا بأمر هؤلاء العمال الزراعيين الزنجيين • وقد كان قبل مقدمه هذه البلاد مشغولا بالـه بشأن الفوارق اللونية والعنصرية

وقد راعه ماحدثه به المستر هورسون من أن هؤلاء العمال الزراعيين يواجهون احتقارا عنصريا من المزارعين الأهالى الذين يشبهونهم جدا فى اللون والتأخر وان خالفوهم قليلا ــ قليلا فى الملامح

وقدم حسن داود خادم المستر هورسون وهمس الى سيده ان الرجل المدعو عبيد الديان ودبدران يريد مقابلته فى أمر هام • فامره المستر هورسون باستدعائه • ومن عادة المستر هورسون الا يحجب عبيد الديان الا لمانع هام •

ودخل عبيد الديان بخطاذئب: كان يلبس جلابية نظيفة جدا ومكوية سيفا وفى جيبه ساعه يتألق سلسلها وبيده عصا خيزران وعلى رأسه طاقية من الحرير الأحمر بلاعمامة ، وكأنه قد خرج من الحمام منذ دقائق وكان عبيد الديان هذا فوق السمرة أدنى الى بياض اللون • شعر رأسه كما يبدو من أطرافه التى لم تغطها الطاقية بين الأسود والذهبى ، وعيناه احداهما عسلية وفى الأخرى حوص وبياض ولعلها عوراء لاترى وشفتاه حمراوان أدنى الى الغلظ وهو قصير دحداح يدعى النسبة الى الأتراك ولاريب أنه بعيد النسب جدا منهم ••• يعد ذلك ضربا من الفخر • وقد كان قدم من الريف صرماتيا يدبغ الجلود ويصنع المراكيب ثم ارتقى فصار يبيع ضروبا من المأكول وامبوس التنباك ودعساري والعطور وأشياء غير ذلك ورحب المستر هورسون بعبيد الديان وأشار الى الكرسى فقعد عليه وكأنه قد استدعى الى جانب العرش

وانهلت عليه غيوث السعادة

ـ اندك كبر جديد ياشيك ديان

ـ ايوه جنابك • عندى خبـر صغير جنابك • مش مهم خالص

ـ هسان

ويلتفت المستر هورسون الى خادمه حسن داود

ـ يجيب واهد جنجبير الشـان شيك ابيد ديان

ويمسك عبيد الديان بطرف الكوب الشوب ويبلـع ريقـه ويغمض عينه التى هى حوصـاء وعوراء

ـ جنابك أبكر قونا عاوز يفتح دكان فى السوق •

ـ مين يا شيك

ـ أبكر قونا جنابك

ـ مويش أبكر واهد هداد بتاء رأزيق

ـ أيوه جنابك

ـ نيرف اينت الشان ايه ايهـو يمسك فتاه ديكان

ـ ما أعرفش جنابك • بس هو تزوج واحده من ه

ـ تيقول ايه

ـ با قول جنابك هو عامل واحد زواج

ـ زواج • هو يمسك واهـد أروس بت بلاد من هناء

ـ أيوه جنابـك •

ـ اينت آرف دا كله وميتاكـد من كبر بتاءك

ـ أيوه جنابك • أنا كنـت فى الحفلة بتاع الزواج بتاعه •

ـ اينت آرف أبكر يمسك واهد أروس أهالى وميوش اينت يجـى

هينا ألشان كبر ؟

ــ أنا أهو جيت علشان أكلمك جناب الباشمفتش .

ــ انت راجل واهد بتال . انت كون يجى هنا يمسك واهد كبر مويش انهاردا . انت كون يجى أمس . انت واهد بتال . انت يالا من هنا برا

وهكذا طرد الباشمفتش عبيد الديان « الخباص » عقابا له على توانيه فى تبليغ الخبر ولم يمهله حتى يشرب الجنجبيره . وأصم عن تضرع عبيد الديان واستخذائه وصاح به أن يخرج فخرج تكاد حوصاؤه وشهلاؤه تدمعان

وهم المستر جونسون أن يسأل صاحبه عن جرم الشيخ عبيد الديان ود بدران ، هذا الزائر الذى كان المستر هورسون تقبله باكرام ثم قلب له ظهر المجن وأهانة اهانة الكلب مسكين الكلب يشتمه الناس وهو حنون ومطيع وعاطفى ومخلص الغاية . ان الانسان لظلوم كفار

ولكن المستر جونسون كان أحكم وأصبر من أن يستعجل بالسؤال . ولماذا يسأل وهذا المستر هورسون يوشك أن يتبرع له بشرح واف كاف شاف

ــ لقد حدث حادث مزعج . لقد قال لى هذا الرجل الذى يأتينى بالمعلومات : المهبل الكسلان أن أبكر قونا أحد الغربيأفريقيين ، تزوج امرأة أهالى ويريد ان يفتح دكانا

ــ بالطبع هذا سيقلق الرأى العام فى هذه الناحية

قال جونسون ذلك يدارى أنفاسا فى جوفه من السخرية والسخط فقد كان ميله العاطفى الى جانب أبكر قونا وكان صدره

يحتدم غيظا على هذا الرأى العام المحلى الذى سيحاول بكل الوسائل أن يحطم أبكر قونا ومشروعه التجارى وزواجه أيضـا • وكان يخشى كل الخشيه من وقوف المستر هورسون الى جانب هذا الرأى العام المحلى البغيض

— بالطبع هذا سيقلق الرأى العام • لابد من المبادرة بتلافى هذا الأمر قبل أن يستفحل •

— وكيف تلافيه • لقـد تزوج الرجل وانتهى الأمر •

(كان حسن خبره بالتفاصيل • ان أحـد الوجهـاء طلـق امرأتـه الجميلة الطلـقه الثالثة • وكان أبكر قد رضى بأن يحللها له • ولكن أبكر بقوة عروقه يمكن أن يستمر اذا شاء زوجا للمرأة • هذا كان مراد عبد القيوم الخفير عندما أشار للعروق • ولكـن المستر هورسون لم يفهم هذه التفاصيل • لم يكن لها معنى عنده • فنى — من كلمة فن بمعنى ضحك — حسن • فنى خفير • Funny

— أليس من الأحسن (تابـع للكلام السابق) أن تحاول اقناع الكبار وذوى الرأى بهذا البلد الى الرضا بالأمر الواقع •

— لا بالعكس • بل المهـم أن نفهمهم خطورة هذا الأمر (بل المهم أن نفهم الأمر الواقع بخطورة وجهة نظر الباشمفتش) ونحفزهم على ابتكار طريقة لتلافيه • والا فان الـرأى العام سيزعج جدا

— ولكن هذا تصرف غريب يـاجون • اذا كانوا بالفعـل مستاءين من هذا الزواج ، فواجبنا نحن ان نحمى هذا الرجل الضعيف ، ونحاول تهدئتهم لا أن نشجع غرورهم وضيق أفهـامهـم •

— لا أريك • انت لا تعرف هذا البلد • انهم بلداء جدا ولا يستطيعون

أن يقدروا خطورة الموقف • حسن !

ويحضر حسن الخادم كوبين من الويسكى سودا

ـ لا • أنا مويش آوز وسكى سودا • أنا آوز انت يمشى بالأربية دى دلوكت ويجيب شيك بتاء البلدونايب بتاء شيك

ولما هم حسن يأخذ أكواب الويسكى والسودا أشار عليه المستر هورسون بترك ذلك والاسراع فى مهمته الجديدة • وعاد حسن بعد ساعة يصحبه شيخان عليها ثياب فضفاضة وقد تقلصت أسارير وجوههما لما كانا يذركانه من أهمية الامر الذى حمل الباشمفتش على ستدعائها من غير سابق تنبيه •أوأشار عليهما الباشمفتش بالجلوس

وآمر حسنا آن يقربها كوبين من الجنجبيرة • او توفيقا وانما كان توفيق ظلا لحسن • ولم يبدأ هذه المرة بتطويل التحية والسؤال عن أحوالهما وصحتهما كما كان يفعل عادة بل خلص الى الشأن الذى من أجله دعاهما مباشرة وبلا ريث

ـ اراجل ابكر قونا يسسك أروس هنا

ـ ايوه جنابك

ـ وكمان يسسك فتاه ديكان

ـ أيوه جنابك

ـ واينت يا شيك بتاء بلد تيئمل ايه

ـ جنابك آبكر بقى زول بلدوعاشر الناس

ـ أيوه • لكن هو واهد هداد •

ـ جنابك لكنه راجلا ما هو بطال

ـ انا با قول هو هداد • ومافيش هداد يسسك أروس من بتاء بلد

أهالى • لازم ارس بتاع يكون مافيش •

— جنابك علا كان تمنعه انت • علا هو اتزوج بالكتاب والسنه ونحن ما عندنا سلطة عليه •

— لا دا مويش كلام بتاع شيك بتاع بلد بتاعرى • انت ياشيك راجل مويش كويس •

ولم يستطع المفتش ان يحمل الشيخ ولا نائبه على الغاء زواج أبكر ولا طرده على كثرة ما ألح وما تفنن فى اقناعهما بأهمية ذلك وخطورته • وقد ضرب بهما الامثال وحاول ان يستثير حفائظهما العنصرية بتصغير شأن أبكر هذا الدخيل الوضيع وان يهول لهما اثر هذا الزواج وما سيجره على بلدهما من العار حتى ان القرى الاخرى ستتحدث عنه وان أهل هذه البلدة وشيخها وباشمفتشها والمفتش الجديد أيضا سيكونون حقا مضغة الافواه وحديث الرائح والغادى •

— لهو المقيم ولهو المدلج السارى —

كما قال قيس بن رفاعة الذى واستشهد بشعره عبد الملك بن مروان ياحليل عبد الملك بن مروان • ولكن على تهيبهما للمفتش وتضاؤلهما أمامه لم يكونا ليجسرا على فسخ زواج ابكر قونا • أولا لأنه كان رجلا فاضلا حسن الصلة بهما وسائر الناس وثانيا لأن الفسخ له مبررات شرعيه لا يتيسر منها شيء فى موقف ابكر الا ان طلقها ابكر طواعية فيعود اليها زوجها قبله الشيخ محمد طه مرة أخرى • وثالثا أبكر صاحب عروق أسجار ويمكن يحصل لهمامنه مضرة ورابعا لأن للشيخ • ونائبه أعداء اقوياء يستغلون أمر تلاعبهما بالشرع ان أقدما على هذه الكبيره اشنع استغلال وقد فكر الشيخ ونائبه والعرق يتصبب منهما اشد تفكير وأحده فى

هذا المأزق الذى زج بهما فيه جناب الباشمفتش المستر هورسون فلم يجدا من مخرج الا ان يتوكلا على الله ويعصيا امر المفتش على قوة سلطاته وعظمة وجبروته

ــ انتو مويش كويسين • أنا يمسك أبكر واهد جزا •

ولم يكن المستر جونسون فى حاجة الى أن يشرح لهزميله فحوى مادار بينه وبين الشيخين • لأنه كان يقرأ جوابهما فى عيونهما وتبرات أصواتهما وفى حمرة صاحبه المستر هورسون وتقبض جبهته وتلوى حنكه وهزة رأسه وحركه يده لقد كان الامر واضحا كل الوضوح • ليس فى الدنيا رأى عام محلى يهمه زواج أبكر قونا او دكانه غير هذا المستر هورسون وذلك الاحوص الأعور النكس الرعديد الذى بلغ الخبر الواعية •

ــ هذان الرجلان بليدان جدا • لا يفهمان عقلية الاهالى

ــ معذرة جون أظنك انت ياصديقى لا تفهم عقلية الاهالى • الا ترى أنهما رفضا رفضا باتا ان يتبعا أوامرك •

ــ اسمع يا اريك • لا تلمنى ان قلت لك انى احسب انك شيوعى

ــ شيوعى • يا للسماء • ماذا تقول يارجل

ــ أنا وأنت هنا نؤدى شيئا واحدا هو أن تتأكد ان محصول القطن سيكون جيدا وان تكاليفة ستكون قليلة وان الاهالى سيكونون مطمئنين وليس من صالحنا ولا من صالح القطن ان يندمج العمال

الزراعيون الزنجيون فى بقية الاهالى • اننا نحكم هذه البلاد الاهالى بالحكمة والسياسة • ومن الغلط المنكر السماح بتكوين وحدة ملتئمة من العمال المزراعيين والمزارعين المستأجرين لو ترك الامر لى انا لطردت جميع المزارعين واستغنيت عنهم باولاد حداد لانهم بسطاء لايريدون اكثر من الأكل والبيرة المحلية ولكن الارض كانت ملكا للمزارعين قبل ان نستولى عليها نحن فلذلك لانستطيع ان نطردهم منها • تقاليدنا عادلة • ونحن نحافظ عليها •

ــ وماذا تنوى بهذا ــ ما اسمه

ــ أبكر قونا

ــ سأعلمه درسا قاسيا وسأعلم هذه البلدة درسا قاسيا •

(٤)

ينزل الباشمفتش من الحصان ويمشى لدكان أبكر قونا ويتبعه جماعة من الناس • ويجرى أحدناس السوق فينادى العمدة والشيخ والريس وجماعة من الأعيان •

ــ جناب مفتش أنا اندى هواشه فى شركة • انى ما نمسكو أولاد أزيق

ــ يانى قفير كداب • وتمده بتاء بلد كداب • وشيك ابيد ديان كداب

ــ هاشا جناب مفتش ما هــو كداب •

ــ هو كلو يقوله انت يمسك ولدبتاعر أزيق ويبشل تاجر بتاعر أرق بتال •

ــ جنابك أنى ما تارفــو ارق •انى نبيئوا سكر وشاى انمشــو هواشه كل يوم تندفو بايدى •

ــ مويش بايدك • قفيا يقــول ايدك لاين زى ايد بتاء واهد سيت

ــ جنابك قفير قليل أدب • أنى ندربو قفير لو يقول قدامى زى ايد واهد ست

ــ ما ترافع جناب المفتش • خل عندك أدب يا بكر •

تبرع بهذا التوبيخ أحد أعيان السوق ووجهائه وكانوا آنئذ قد تجمعوا حوالى الباشمفتش وقد كان العمدة والريس ومن اليهم قد وصلوا وتبرع تاجر وجيه فقال .

ـ جناب المفتش الجماعه الفلاته دول ما عندهم أدب

ـ جناب باشمفتش انا ما نـدورناس يقولوا آنا قليل أدب . جنابك تورينى القلت كان انا سويت جنابك أكون انا بتال . كان انا ما سويت جناب باشمفتش يكون بتال ال يقول انا بتال .

ـ انت يا حاج أبكر بلش اللحاح وما تكتر الكلام . خل عندك أدب مع جناب الباشمفتش (كان هـذا المتكلم هو العمدة نفسه)

ـ انت يازول ما يكتر كيلام .

ـ اسكت يا ابكر . اسكت خل عندك ادب (كان المتكلم الأن هـو الرئيس الناظر)

كل الناس ـ اسكت يا ابكر خـل عندك أدب

ـ حسبنا الله ونئم الوكيـل . ابكر ما قال حاجه . بس زلم تقولوا لا اسكتى .

ـ كفى يا ابكر

ـ انت تطلع من السوق يا ابكر، فـاهم .

ـ هو واهيد بتال كتيا . مويش بيئمل أوامر بتاءرى .

ـ ياخد جزا جنابك ويطلع من السوق .

وفى هذه الساعة يصل عبد القيوم الخفير وينزل من حماره بالتحيه

ـ جنابك أبكر دا سايط البلدحين أخير جنابك تمرقه من الحواشه .

ـ أيوه أهسن يتلأ من الهواشه جناب باشمفتش .

ـ ونحنا بنمرقه من السوق جنابك .

ـ الشان ايه جناب باشمفتش . بلد مش بتاء عمدة ولا بتاء ريس ولا بتاء خفير ولا بتاء خدام باشمفتش بلد بتاء هكومة . وانى اندى كنترات شركه وما عملتو بتال . أنى ماتتلأ .

ـ انت تتلا من هواشا ومن سوك كمان زى كلام ريس وأمده . قفير بقول انيت ميوش كوايس فى هواشه . أو مدا يقول اينت مويش كوايس فى سوق . هسان يقول انيت مويش كوايس فى بلاد . ابيد يقول انت اندك واهد أروس بارق بتال . ريس يقول انت يتلا برا . وانا أقول كدا كوايس .

ـ جنابك انى تقدموا أردهال لجناب مفتش مركز . بلد مش بتاء ريس ولا وبتاء مفتش زراعة . بلد بتاء هكومة .

ـ اسمع ياابكر . البلد موهولك ولو هول أبوك . البلد هول الباشمفتش دا وهولنا بعده . انتوه تكارنه غرباء يالا . عزل من السوق

ومن البلد زى أوامر جناب باشمفتش وتانى أشوفك فى السوق علا السجن .

ــ البلد ما بتاءك ولا بتاء باشمفتش زراءه . أنى ماتتلا . نقدمو أردهال لمفتش مركز .

ــ أمانة ما تطلع يا كلب وشيك يلعن قفاك .

ويغضب المفتش من الضجة ويضجر بها ويترك أبكر قونا مع العمدة والريس وقد اتقضى امره

ــ ما فيش مره ويشيل بداءه نتاءرك فوق راسك ديلواكت

وهكذا كانت نهاية أبكر قونا الذى لم يجد من ناصر الاعاطفيات المستر جونسون الاشتراكية .

ويمضى المستر هورسون الباشمفتش ووراءه جماعة من الناس على شكل مثلث رأسه انوجهاء وقاعدته من دونهم فمن دونهم وهكذا وهلم جرا . وهو ماش أى المستر هورسون ويحرك سوطه الصغير قاصدا حصانه .

ويناديه أحد التجار بأدب شديد

ــ جناب الباشمفتش ممكن جنابك تتفضل وتشرب عندنا قهوه جبنة .

ــ لا شكرا . انا مويش يشرب قهوة قبال فتور مرة تانى .

ومد تاجر وجيه لسانه فلعق بهماحول شفتيه شـــماتة بالتاجر الذى دعـــا الباشمفتش الى القهوة فلم يستجب له • ثم نحنح وزرق بصاقه طويلا كما تفعل الحية ثم قال :

ـ اتتو عاجبو لكن الجماعة ديل آكلن وشرابن بالمواعيد •

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما •

مطبعــة النيــل
للطبع والنشر
١٩٦٨

الثمن ١٥ قرش